Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah.*

Vol. 5, No. 1, (Issue 9) Autumn & Winter 2021; pp. 103-114

فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الخامسة، العدد الأول (المتوالي ٩)
خريف و شتاء ١۴٠٠ش/ ١٤٤٣ق. من صفحة ١٠٣ الى ١١۴

Original Research مقالهٔ پژوهشی

دراسة سمات أهل جهنم و مقامهم في القرآن الكريم و نهج‌البلاغة وآثارها التربوية

زهره كدخدايي[١]، محمدرضا حاجي اسماعيلي[*٢]، مهدي مطيع[٣]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٤/١٠ تأريخ القبول: ١٤٤٣/٠٨/١٢

١. طالبة دكتوراه في علوم القرآن والحديث، جامعة آزاد الإسلامية، إصفهان، إيران
٢. أستاذ القرآن و علوم الحديث، جامعة إصفهان، إصفهان إيران
٣. أستاذ مشارك في علوم القرآن والحديث، جامعة إصفهان، إصفهان، إيران

A study of the characteristics and position of the inmates of Hell in the Qur'an and Nahj-ul-Balagha and the educational effects of its expression

Zohreh Kadkhodai[1], Mohammad Reza Haji Esmaili[*2], Mahdi Motia[3]

Received: 2021/11/16 **Accepted: 2022/03/15**

1. Ph.D. Student in Quran and Hadith Sciences, Islamic Azad University, Isfahan Iran
2. Professor of Quran and Hadith Sciences, University of Isfahan, Isfahan, Iran
3. Associate Professor of Quran and Hadith Sciences, University of Isfahan, Isfahan, Iran

10.30473/ANB.2022.61641.1295

الملخص

إنّ الاعتقاد بالجنة والنار من مشتركات جميع الأديان، وخُمسُ آيات القرآن الكريم تشير إلى الحياة في عالَمِ آخَر. كما أنّ الإنسان سوف يواصل الحياة الأبدية في إحداهما (النار أو الجنة) حسبَ أعماله الدنيوية. ففي هذا المقال نسبرُ غورَ مفهوم مقامات جهنّم وسِمات أهلها في القرآن ونهج‌البلاغة، وأثر بيان ذلك في الحياة الدنيوية وتأثيرها على تربية الناس. فهذا البحث في صدد الإجابة عن هذين السؤالين: ما هي السمات التي أودت بأهل جهنم أن يبتلوا بها؟ وكيف يمكن الاعتبار بمصير هؤلاء للوصول إلى السعادة والكمال؟ إنّ المنهَج المتّخذ في هذا المقال وصفي ـ تحليلي، عبر منهج البحث المكتبي. تُبيّن نتائجُ هذا البحث أنّ القرآن الكريم ونهج‌البلاغة يعكسان مواقع جهنم وملامح حيات أهلها، وتحذّر الكافرين والمذنبين من هذا العذاب. كما يلزم سابقًا من أجل ترسيم حياة أهل جهنم في الدار الآخرة. أن نستقرئ حياتهم في هذا الدنيا؛ إذ مصير الإنسان في الآخرة يتألف من نواياه وأقواله وأفعاله في الدنيا الراهنة. ولو تأمّلنا في درجات وسمات أهل جهنم المذكورة في القرآن ونهج‌البلاغة سنجد خيرَ أنموذج تربويّ للوصول إلى الهدف السامي للخلق والخليقة والذي هو طبقًا للآيات رحمةٌ إلهية، وهو عبارة عن ذكر الموت، وعبادة الله، وإقامة الصلاة، والبعد عن التفاني في بالدنيا.

الكلمات الدليلية: طبقاتُ جهنم، سِماتُ أهل جهنم، الذنوب، تربيةُ الإنسان، السعادةُ الأبدية، عالَمُ الآخِرة.

Abstract

Belief in the existence of heaven and hell is one of the beliefs of all religions, one-fifth of the verses of the Qur'an refer to life in another world, and man will continue his eternal life after death according to his worldly deeds in one of these two places. In this article, we examine the concept of the places of hell and the attributes of hell in the Qur'an and Nahj-ul-Balagha and the effect of its expression on worldly life and human education. This study seeks to answer the question, what are the characteristics that caused the infernals to be caught in hell? And how can we learn from their destiny to achieve happiness and perfection? The research method of this paper is descriptive-analytical and it is a library data collection tool. The result of this study shows that the Holy Quran and Nahj-ul-Balagha provide a picture of the places of hell and the attributes of the life of the inmates of Hell, and warn the disbelievers and sinners of these torments. To describe the infernals, one must first study their lives in this world. Because the destiny of man in the hereafter is determined by his intentions, words and deeds in this world. By thinking about the status and attributes of the people of Hell in the Qur'an and Nahj-ul-Balagha, the best educational model to achieve the lofty goal of creation, which is according to the verses of divine mercy, is to remember death, worship God, offer prayers and stay away from worldliness.

Keywords: Hell classes, Hell attributes, Sins, Human Education, Eternal happiness, The world of the Hereafter.

***Corresponding Author:** Mohammad Reza Haji Esmaili
Email: m.hajiesmaeili@ltr.ui.ac.ir

*** نویسندهٔ مسئول:** محمدرضا حاجی اسماعیلی

المقدّمة

في المنظور القرآني، إنّ الناس الذين خالفوا حكم العقل وإرشادات الرُسل الإلهية وأحاط الفسادُ والتبار بكلّ أرجاء حياتهم الدنيوية سيجازَون بعد محاسبة أعمالهم يومَ القيامة. كما أنّ معرفتنا حول المسائل المرتبطة بالعوالم الأخرى محدودة والسبيل الوحيد للوصول إليها هو الوحي، والعقل، وكلام النبي ﷺ والأئمة (ع)؛ لأنّ عالمَ الآخرة من عوالم الغيب، وهو عالم أسمى من هذا العالم، وطبقا للآيات (وبالآخرة هم يوقنون) لا بدَّ من الاعتقاد بذلك العالم العُلوي. فالأنبياء والرسل هم المرشدون والهُداة إلى عالم الغيب كي يوصلوا الناس للمراحل العُليا من الإيمان؛ أي اليقين، وحتّى يصل الإنسان في ظلّ ذلك إلى الاطمئنان والفهم العميق.

إنّ جهنم أو النار هي مقام الناس المذنبين المنافقين الكافرين المشركين في حياتهم بعد الموت، حيث يجدون هناك جزاء أعمالهم (ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يرَه). كما أنّ هناك مفردات ك.(الجحيم)، و(سقر)، و(السعير) في القرآن تشير إلى مقامات ودركات من جهنم وفي آيات كثيرة أيضا ذُكرت سمات أهل جهنم. وقد أُريد من الناس أن يخافوا جهنم، ويحفظوا أنفسهم وأهليهم منها. واعتُبر الخوف من جهنم ـ في التعاليم الدينية ـ في صدر الأوامر الشرعية، وعلى رأسها. يَعتبرُ الإمام علي(ع) بصراحة أنّ العذاب إنما هو جزاء أعمال الإنسان، وعلى أساس مبدأ تجسُّد الأعمال يكون العذاب المفروض على المفسدين صورةً حقيقية لأعمالهم. ففي الواقع، إنّ الجزاء هو نفس أعمالهم التي لحقت بهم، وكانت وبالًا عليهم. فلا يُفرض على أحد من المجرمين عذابٌ من خارج، بل هي ما عملته أيديهم.

ومن الدراسات السابقة لهذا المقال يمكن الإشارة إلى مقال «رابطة معاد ومعرفت نفس از ديدگاه علامه حسن زاده آملي ونقد بر مباني مكتب تفكيك» حيث يتناول مسألة المعاد وعلاقة أعمال الإنسان بالجزاء والثواب الأخروي. ونظرا لمحورية معرفة النفس قام ذلك المقال بتشريح نظرة (العلامة حسن زاده آملي) وذكر الانتقادات الواردة على مذهب التفكيكية، وبيّنها واضحًا، وأجاب عليها. وهناك مقال آخر لـ(هادي معمار كوچه باغ) عنوانه «بررسي تطبيقي حقيقت مجازات اخروي از ديدگاه صدرالدين شيرازي وجعفر سبحاني» تطرّق إلى معرفة النفس، وذكرَ الكاتبُ فيه آراءَ المتكلمين والفلاسفة حول العقوبات الأخروية. إلى جانب المقالين المذكورين نجد مقال «تحليل ويژگي‌ها وآثار اخروي اَعمال اصحاب المشئمه از منظر قرآن» للباحثة (رضوانه نجفي سوادرودباري) فقد جعلت الحاجة البشرية للأسوة هو الأصل حيث يحتاج الإنسان إلى أسوة يَقتدي بها، وذلك انطلاقا من مبدأ «تُعرف الأشياءُ بأضدادها» فلا بدَّ من ذكر ومعرفة سمات أصحاب المشئمة كي تكون مصائرهم عِبَرًا لكافة الناس، وأن لا نسير في مسيرهم، ولا ننحرف عن الصراط المستقيم.

ولم نجد في هذا المضمار بحثًا أو مقالا أو أطروحة تبحث عن سمات أهل جهنم ومقامهم في القرآن الكريم ونهج‌البلاغة وآثارها التربوية. وهذا البحث بنظرة جديدة، وبالاستعانة من آيات القرآن الحكيم، وكلام أمير المؤمنين علي (ع) في نهج‌البلاغة اعتني بدراسة وذكر مقامات جهنم وسمات أهلها، وما لها من آثار تربوية على آحاد الناس في هذه المعمورة.

إنّ الهدف من وراء هذا البحث هو بيان الأسوة الحسنة والسُبل التربوية القويمة طبقًا لآيات القرآن ونهج‌البلاغة، ليعيش الناس على هذا المنهج الصحيح، ويربوا أنفسهم وأهليهم في هذه الدنيا على هذا الأساس القويم السليم، لئلا يبتلوا بجهنم وعذابها في الدار الآخرة.

هذه الدراسة تأمل أن تجيب على هذه الأسئلة المصيرية: لماذا كرّر الله سبحانه في القرآن، والإمام علي (ع) في نهج‌البلاغة مقامات جهنم وسمات أهلها؟ وما مدى أثر بيان سمات أهل جهنم في الحياة الدنيا؟ وكيف يمكن أن نتعرّف على هذه السمات بصفتها مربيّة وهادية للناس؟ وكيف تؤثر هذه التعاليم على أخلاق الناس وسلوكهم، وبالتالي توصلهم إلى السعادة والكمال؟

إنّ الله تبارك وتعالى جعلَ الغاية من بعث الأنبياء هدايةَ الإنسان إلى الصراط المستقيم، وعرّف الإنذار والتبشير كدعامتين للتربية الصحيحة؛ فالإنذار بإعلان

المهالك، وتَنبّه المؤمن، وتنبيهُه، وإنذاره عن الانعطاف نحو الانحرافات والاعوجاجات ضمانٌ لحفظ الإنسان عن المكاره، وهدايته. والتبشير بإيجاد الشوق والرغبة في سبيل الوصول إلى المقصد المنشود يُوجب الإهراع والتسرّع في هذا السبيل. إنّ الاعتبار بآيات التنذير في التربية الإسلامية توجب تقلّص الرغبات السلبية والوساوس النفسانية والاستقرار على المسير السويّ. لقد عبّرت الآيات عن جهنّم بتعابير شتّى، ومقامات مختلفة؛ منها: (جهنم)، و(لظى)، و(الحُطمة)، و(سقر)، و(هاوية)، و(سعير)، حيث كلّ منها يتناسب مع الذنوب التي اقترفها الإنسان في هذه الدنيا، ولها عذاب يتناسب معها. فالقرآن ونهج‌البلاغة يرسمان مقامات جهنم وسمات أهلها ويحذران الكافرين والمذنبين من هذا العذاب الأليم، عسى أن يعتبرَ الناس بمصيرهم، ويتنكبوا مسيرهم.

إذن، لترسيم أهل جهنم يلزم مسبقًا استقراء حياتهم في هذه الدنيا؛ لأنّ مصيرنا في الآخرة يتألّف من أقوالنا، وأعمالنا في هذه الدنيا. ففي واقع الأمر، إنّ القسم المهمّ والأصل الأصيل هو دراسة الأعمال الدنيوية لأهل جهنم، وهذه الأعمال بدورها توجب مراحل ومحطّات مُهلكة أخرى كصعوبة الاحتضار، وعذاب القبر، والتعذيب في النار، والخلود في جهنم.

بالتدبّر في الآيات والتأمل في ما جاء من قول علي (ع) في نهج‌البلاغة يُستشَفُ أنّ خير أنموذج تربوي للوصول إلى الكمال واليقين بالله واليوم الآخِر هو عبادة الله، وإقامة الصلاة، والابتعاد عن الالتصاق والتعلّق بالدنيا. فالتفكر في سمات أهل جهنم يُمكننا من التعرّف على حياة أهل الجنة، وأننا بأعمالنا في الآن الراهن نعيش إما في الجنة، وإمّا في جهنم. ففي بعض خطب أمير المؤمنين يبيّن الإمام أنّ الدنيا لا تنسجم مع أهل جهنم، وتحُول دونَ وصولهم إلى الاطمئنان والسعادة التي يتطلّبها كلّ الناس. بشكلٍ أو بآخَر ـ في هذه الدنيا. إذن، فذكر الموت، وبيان سمات أهل جهنم، وتصفّح أعمال الماضين، وسبر غورِ ماهية تلك الأعمال، ومراقبة السلوك خيرُ أنموذج تربوي لحياة الناس في أيامنا الراهنة، للحاضرين، ودستورٌ عملي للآتين.

هذا المقال يذكر مقامات أهل جهنم، وسمات أهلها في النار، والذنوب التي توجبها ـ حسب ما جاء في آيات الذكر الحكيم، ونهج‌البلاغة لأمير المؤمنين (ع) وعَبرَ التدبّر في الآيات والتأمل في سياقها، والعمل على ضوء إرشادات عليّ بن أبي طالب (ع) تمّ استخراج وتبيين الأوامر التربوية لتكون المرشدة إلى الابتعاد عن اقتراف الذنوب، وتربية أُناس صالحين مؤهّلين، وموجبة لنيل الإنسان للكمال والسعادة الأبدية والحياة الطيبة الدنيوية والأخروية.

سمات جهنم وأهلها في الآيات والروايات وآثارها التربوية

المعاد نهاية عالم الوجود، وبداية عالم الخلود؛ حيث ذُبح الموتُ على أعتاب داره، وجاء بالخلود تحفة منه. والتأمل في هذه الحقيقة من منظار العقل والنقل يحظى بأهمية كبيرة وضرورة كثيرة. وعمدةَ مشاهد عالم القيامة والسنن الحاكمة عليه، والحقائق المهمة والأساسية لهذه النشأة إنما تنبع من صحيفة الوحي؛ أي القرآن الكريم. (جوادي آملي، ١٣٨١: ١٠/٤)

إن هناك جانبين الاعتناء بآيات القرآن للمعاد؛ جانبٌ جسدي، وآخَر وروحي. إذن، فعذاب جهنم على صنفين؛ جسماني وروحاني. والتعذيبات الجسمانية عبارة عن التعذيبات الصعبة الثقيلة، وما يشرب ويلبس أهل النار، ومن غيرها التي ذُكرت في القرآن، وتورّط فيها أصحاب النار. أما التعذيبات الروحانية فعبارة عن الغمّ، والهمّ المضني والحسرة الدائمة، والاحتقار واللوم الكثير وسائر الآلام والأوجاع الروحية التي سوف يُعاني منها أهل جهنم. وبالطبع، تتناسب هذه العقوبات مع أعمالهم الدنيوية السيئة؛ حيث كانوا يضايقون المظلومين بأصناف العقوبات والتعذيبات، ويتخذون آيات القرآن هزوًا، ويتكبرون، ويختالون على الآخرين، فهل يبقى مجالٌ للتعجّب أن يروا هناك أعمالهم، ويتورطوا بنتائجها، ويحصدوا ثمارَ ما عملت أيديهم وما زرعوه في الدنيا: «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ.» (المائدة: ٣٧)

قال الله في محكم كتابه حول مقامات أهل جهنم،

بأنها تتناسب مع أعمالهم الدنيوية: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ مَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.» (الحجر: ٤٤ ـ ٤٥) فالذين يتّبعون الشيطان وأهوائهم وما تشتهيه الأنفس، ولا يعيرون اهتماما بالأوامر الإلهية يكون مقامهم الأبدي جهنّم. يعرّف القرآن جهنّم بـ«دار البوار»، و«بئس القرار»، و«سوء العذاب»، ويجعل لهذا الميعاد المستمرّ لكل المخالفين أبوابًا بحيث أنّه يردُ كلُّ فريق منهم مِن بابه الخاصّ به (أي مقامه وطابقه). وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع): «لجهنّم سبعُ طبقات» ثمّ جعل (ع) إحدى يديه على الأخرى وقال: هكذا جعل كلّ طبقة فوق الأخرى.» (الحويزي، ١٣٨٣ق: ١٩/٣)

لقد صُوّرت في الآيات تلك الطبقات السبع لجهنم: جهنّم، ولظى، والحطمة، والسقر، والجحيم، والسعير، والهاوية، وذُكرت سمات الحالّين بها. وقد اختصّ عدة من أتباع الشيطان المتوسمين بسمة خاصة في طبقة منها. وفيما يلي تُذكر مقامات جهنم، وأحوال أهلها طِبقًا لآيات القرآن الكريم، ومِن ثَمَّ نذكر النقاط التربوية للاعتبار من مصيرهم:

جهنم مقام المنافقين

إنّ جهنم من أسفل طبقات النار، وفيها المنافقون: «أنّ المنافِقِينَ فِي الدّرك الأسفَلَ مِنَ النّار وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصيرا» (النساء: ١٤٥) لقد تكررت مفردة جهنم في القرآن ٧٧ مرّة في تسعة مواضع؛ منها وقعت مضافا إليه لمفردة «نار»، وفي كلّ هذه المواضع المقصود من جهنم مقام مجازات المفسدين والمنافقين في القيامة. وبالاستعانة من سياق الآيات يمكن أن نستنتج بأنّ الإنسان العاقل في سعي جهيد في سبيل التربية السويّة والقرآنية، وعليه في دار الدنيا أن يطيع الأوامر الإلهية ويراقب أعماله وسلوكه لئلا يبتلي بنار جهنم.

لظى مقام الأشقياء، وتارك الصلاة، والبخيل، الحريص على الدنيا

ومن أسماء جهنم «لظى» التي يقيم فيها الأشقياء: «فَأَنْذَرْتُكمْ نارًا تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى» (الليل: ١٤)؛ و«كَلَا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى» (المعارج: ١٥ـ ١٦) فلظى محطّةٌ يُفصل فيها اللحم عن العظم لشدّة الحرارة، وهذه الشعلة الملتهبة تدعو إليها مَن أدبر عن أوامر الله، وأعرض عن طاعته ـ جلَّ وعلا.

في الآيات الأولى من سورة المعارج يحدّثنا الله عن العذاب الخاصّ بالكافرين، وأنّ ليس له دافع، وإن كان الأعداء والمخالفون يرون ذلك العذاب بعيدا، بيدَ أنّ الله يراه قريبًا، وتبلغ شدّة العذاب درجةً يودُّ المجرم لو يفتدي منه يومئذٍ ببنيه، وصاحبته، وأخيه، وفصيلته، ومن الأرض جميعًا ثمَّ ينجيه. لكنّ الله يقول لهم: «كَلّا إنّهَا لَظَى»؛ أي ليس الأمر كما يتوهمون بأنّ لهم نجاة منها، بل هي نار تتسعّر وتنزع اليد والرجل وجلدة الرأس، وهذا جزاء الذين أدبروا عن الحقّ، ولووا رؤوسهم عن دعوته، وجمعوا الثروات، وكدّسوها. ثم ذكرَ سبحانه سمات هؤلاء، وهي الابتعاد عن الصلاة، والحرص، والهلع عند حصول الأضرار والفوادح، والبخل. نستشفُّ عبر التأمل في سياق الآيات أنّه لا بدَّ من الابتعاد عن اقتراف أيّ ذنب من هذه الذنوب؛ لأنّ كلَّ ذنب منها يستتبع ذنوبا أخرى، فهي لا تسلب الاطمئنان من الإنسان فحسب، بل مآلها وبالٌ وخيم مقرونٌ بتعذيبات جسدية وروحية.

إنّ هذه السورة تذكر نقاطًا مهمة وحيوية لتربية الإنسان المؤهل للتمتع بالتربية الصحيحة الإسلامية. فلا بدَّ من الاعتناء البالغ بالصلاة؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. والمصلون الذين هم على صلاتهم دائمون، وفي أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم، والذين يُصدّقون بيوم الدين، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون، والذين هم لفروجهم عن الحرام حافظون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم بشهاداتهم قائمون، وفي ختام السورة يكرر الله المحافظة على الصلاة، وأنهم يواظبون على أوقات الصلوات، وشرائطها الظاهرية والمعنوية لها. ويكون هؤلاء مأواهم الجنة، وفيها مكرمون ومحترمون.

وبناء على هذا، يذكر الله خمسة مفاتيح أساسية للتربية؛ هي: المحافظة والمداومة على الصلاة؛ والاعتناء بالسائل والمحروم؛ وحفظ الفروج والتعفف؛ والاعتقاد باليوم الآخر؛ ومراعات العهود والمواثيق. فطبقا لسياق الآيات إنّ أهمّ وأنجعَ سبيل للتربية القرآنية هو الاعتناء

والمواظبة والمداومة والالتزام بالصلاة التي لا بدّ أن تدرّس للطفل منذ زمن طفولته، فالوالدان خير أنموذج لأولادهم.

الحطمة مقام الهمّازين اللمازين ومن يجمعون الأموال ويكدّسونها وأهل السُحت

إنّ الحطمة كما مرّ ـ من مقامات النار التي تكون مستقرًا للهمازين واللمازين، ومكدّسي الأموال والسحاتين: «كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَما أَدْراك مَا الْحُطَمَة» (الهُمزة: ٤ ـ ٥)؛ والحُطَمَة نار (تحطّم مَن فيها)، والتي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر (في السرعة والكثرة)، مَن سِيقَ إليها يكون في السواد كالكحل الأسود. تكرّر لفظ «الحطمة» مرّتين في سورة الهمزة. إنّ القرآن في إيضاح هذا الاسم من باب تصوير مبالغته وبيان عظمته ـ أولًا ـ.

أضاف النار إلى «الله»، وثانيًا، ذكر بعض سماتها بأنها لا تحرق الجسم فحسب، بل الفؤاد أيضًا: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» وهذا يؤيد أنّ في استخدام كلمة «حطمة» لوحظ معناها اللغوي؛ إذ إنها تنفذ إلى أعمال الإنسان المفسد، وتحطّمه. ويبيّن الإمام علي (ع) أنّ نارها ـ فضلًا عن أنها تحطّم مَن فيها ـ فإنّ بعض أبعاضها تحطّم أبعاضها الأخرى: «تُعرَضُ لِلنّاسِ جَهَنَّمُ كَأَنَّها سَرابٌ يَحطِمُ بَعضُها بَعضا.» (الحكمة ١٣).

تشير آيات سورة الهمزة إلى نقطتين أساسيتين؛ هما: لا بدّ للإنسان أن لا يهمز أعراض الآخرين فإنّ فيه ذهاب ماء وجه الفرد مع أسرته، وتزلزل مكانته؛ وثانيًا من الذنوب التي أشير إليها في آيات كثيرة، والتي تؤدي إلى هلاك الإنسان، جمعُ المال دون الاعتناء بالمحتاجين والمحرومين. وبالجملة فإنّ الابتعاد عن الهمز وجمع المال يعدّان من السُبل المسبلة لتربية الإنسان.

سقر مستقرُّ الكافرين والمتكبرين

إنّ الطبقة الأخرى لجهنم هي «سقر». وفي هذه الطبقة يستقرّ الكافرون، والمنكرون، والمتكبرون، والمختالون، وأولئك الذين لم يكونوا يُصلّون، ولم يأخذوا بيد الفقراء والمساكين: «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَما أَدْراك ما سَقَر» (المدثر: ٢٦)؛ وسقر مشتقة من مادة «سَقر» على وزن «فقر» تعني التغيير والذوبان إثر إشعاع الشمس. (ابن فارس، ١٤٠٤: ٣ /٨٦؛ الراغب الأصفهاني، ١٣٨٥: ١ /٢٣٥) وقد استعملت كلمة «سقر» أربع مرات في القرآن، والمقصود منها نار جهنم (القمر: ٤٨؛ المدّثر: ٢٦ ـ ٢٧ و٤٢). وفي موضع واحد عُرّفت بأنها: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ» (المدّثر: ٢٧ ـ ٢٩) وهذا التعريف يشير إلى أنه لوحظ في التسمية أساسها اللغوي، وكذلك في ذيل الآية ٦٠ من سورة الزمر إنّ سقر مقام خاصّ في جهنم للمتكبرين؛ لأنّ النبع الأساسي للكفر هو الكِبر، ولذا فإنّ المتكبرين ليس لهم مقام سوى سقر، وطبقًا للآيات ٤٣ ـ ٤٤ سورة المدثر فإنّ سماتهم الأساسية هي إنكارهم ليوم الجزاء، وترك العلاقة مع الله (الصلاة)، وترك ارتباطهم مع مستضعفي الخلق (إطعام المسكين)، والانجراف مع أهل الباطل. (مكارم شيرازي، ١٣٨١: ٥/٣٩٥)

تتحدث سورة القمر عن قرب وقوع القيامة، والذين ينكرون القرآن ويتبعون أهواءهم النفسية لا تجدي النصيحة معهم ولا الإنذار، بل يتمادون في الكفر والشرك واقتراف الذنوب. إنهم كذّبوا المعاجزَ والآيات الإلهية، ولذا تورطوا في العذاب الشديد. هؤلاء سيسحبون على وجوههم في النار ويقال لهم: ذوقوا مسَّ سقر، وعذابها الأليم. ومن النقاط التربوية في سورة القمر لا بدَّ من الإشارة إلى أثر الإيمان بالله، والعمل على ضوء الآيات، والدساتير الإلهية. إنّ أعلى أنموذج تربوي للإنسان المؤهل هي آيات الذكر الحكيم، إذ لا بدَّ أن تُتخذ كلّ آية منه مَعلَمًا ولافتة للإرشاد إلى الحياة، وأن يُعنى بالعمل بالدساتير الأخلاقية والسلوكية منه حتى يمكن أن تربَّى أجيالٌ مؤهلون وكاملون.

تبيّن سورة المدثر عُسرَ يوم القيامة على الكافرين، فالذين يطمعون في جمع الثروات، ولم يفتؤوا أن يعادوا آيات الله ويعرضون عنه ويتكبرون، فهؤلاء مستقرهم سقر، لا تُبقي ولا تذر، وسوف تشوّه أبدانهم ووجوههم بشكل شامل. ومن الخصائص الأخرى لهؤلاء المذنبين هو الابتعاد عن الصلاة، وعدم إطعام الفقراء والمحتاجين، والولاء للمنحطين في القول والفعل الباطلين، وعدم تقبّل

التذكر والإنذار. كما من خصائصهم الأخرى هو إنكارهم الدؤوب للمعاد. فقد أشار علي (ع) في قسمٍ من الخطبة ١٨٣ إشارات مُرعبة لوبالهم الصعب الأخروي وعذابهم المخيف الجهنمي: «أَعَلِمْتُمْ أَنّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ!»

فبناء على ما ذُكر، واعتناءً بسياق آيات سورة القمر والمدثر، إنّ الإيمان بالله، والعمل بآي اللقرآن والأوامر الإلهية والمداومة والمحافظة على الصلاة والاعتناء بالمعوزين والاعتقاد بالمعاد ويوم الدين من أهم النقاط في تربية الإنسان. فأما الذين لا يعيرون اهتماما بالغا بهذه الدساتير ولا يراعونها سوف يُنقلون لموضع في النار يُدعى «سقر»، وهو عذاب أشد من سائر مقامات النار ودركات جهنم.

الجحيم مقام الطغاة وعبدة الدنيا والمعتدين

إنّ الجحيم موضع ومَقام في جهنم يستقر فيه المعتدون؛ أولئك الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة: «فَأَمَّا مَنْ طَغى وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى» (النازعات: ٣٧) إنّ كلمة «جحيم» في اللغة تعني النار التي تستعر بشدة. والجحيم مكان خطير ومرعب جدًا. وإنّ ساكنيها يتقلبون لشدة النار. تكررت مفردة الجحيم ٢٦ مرة في القرآن الكريم. وفي الآية ١٢ من سورة التكوير جاء الله سبحانه ـ بعد أقسام متوالية متعددة بتصوير نار السعير في القيامة، وإنّ مَن أنكر القرآن ودساتيره سيردُ الجحيم. ونظرا لتفسير هذه الآيات يمكن أن يُذكر بأنّ من سبل التربية الصحيحة للإنسان هو القرآن والعمل بأحكامه؛ لأنّ القرآن وسيلة التذكر والنُصح للعالَمين. وبالطبع هذا لمن يروم أن يسلك الصراط المستقيم في كلّ شؤون حياته المادية والمعنوية، ولمن يروم أن يصل قمّة الكمال والسعادة عبرَ تربية صحيحة. إذن، مع إنكار القرآن والإعراض عنه، سيرد الإنسان الجحيم.

السعير نتيجة إتّباع الشيطان وترك الأوامر الإلهية

إنّ الطبقة السادسة من طبقات النار هي «السعير»، ويُبتلى بهذا العذاب مَن خالف أوامر الربّ: «وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعيرِ» (سبأ: ١٢) هذه المفردة في الأصل بمعنى تسعّر الشيء واعتلائه، وعلى هذا الأساس، قيل لها «سعير»؛ لأنها تتسعّر وتتعالى. قال تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالًا وَسَعيرًا» (الإنسان: ٤). ذكرت المفردة في القرآن ١٦ مرّة، و«سُعِّرت» مرة واحدة. وجائت مفردة سعير ـ أحيانًا ـ لتصوير نار جهنم، بمعنى تسعُّر واشتعال نارها: «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرًا» (الإسرا: ٩٧) غيرَ أنّ وقوع هذه الكلمة في قبال «الجنّة» كقوله تعالى: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» (الشورى: ٧) وتعبير «أصحاب السعير» (الفاطر: ٦؛ الملك: ١٠ ـ ١١) ـ فضلا عن معناها الوصفي ـ تكون من مقامات جهنم أيضًا.

تشير سورة الإسراء إلى معراج الرسول الأكرم والقرآنِ وهدايته ﷺ للتي هي أقوم، وتبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم الجنة، وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم عذاب أليم. ثمّ تبيّن أهمية الإيمان بالله، والإحسان بالوالدين، ورعاية حقوق ذوي القربى والمساكين، والابتعاد عن الإسراف والبخل. ولأجل الانصياع للهداية وتربية الإنسان تذكر النتائج. إذن: مَن اتّبع هذه الأوامر والدساتير فإنه سوف يردُ الجنة، وإلّا فإن جهنم والعذاب ينتظرانه. هذا الأسلوب من البيان يكون من مذللات أمور التربية. كما للتربية الصحيحة لا بدّ من تبيين الطريق، وبيان المحاسن والمساوئ بصورة جليّة، وفي النهاية من أجل الترغيب والتشويق أن تلحظ المثوبات. فقد تعيّن سورة الإسراء عقوبات عدم اتّباع المنهج القويم، ثمّ يبيّن سبحانه دساتير وأوامرًا يكون التخلف عنها سيئة وذنبا كبيرا؛ منها لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، ولا تقربوا الزنا فإنه فاحشة وساء سبيلا، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل إذا كلتم ذلك خير وأحسن تأويلا، ولا تقفُ ملا ليس لك به علم فإنّ السمع والبصر والفؤاد (والتي هي آلات حصول العلم والمعرفة الوثيقة) كل أولئك كان عنه مسؤولا، ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. ثمّ يأمر الله بتلاوة

القرآن وكونه معجزة وكتاب هداية، ويأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها الموقوتة، ومرة أخرى يذكر خصيصةً أكثر الناس وأنهم إذا أنعمنا عليهم أعرضوا ونأوا وإذا مسهم الشرّ (بسبب عدم إيمانهم وغفلتهم عن قدرتنا ومعرفتنا) يأسوا، ولكن عليهم أن يعلموا من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل (بسبب عناده) فلن يجدوا أولياء من دونه، وسوف يُحشرون على وجوههم عُميا وبُكما وصُما وسيكون مأواهم السعير، جزاء بما كفروا بآيات الله.

فهذه الأوامر والنواهي التي ذكرت يكون التخلف عنها سيّيء العاقبة، وعند الله مكروها. وفي نهاية المطاف يعلل القرآن هذا الأمر بأن ذلك مما أوحى إليهم الربّ من الحكمة (لأجل التذكر والتبصّر)، فلا تجعل مع الله إلها آخر، فتكون ملوما محسورا؛ أي مطرودًا عن رحمة الله.

الهاوية نتيجة خِفّت الأعمال الصالحة وقِلّتها

إنّ مبنى العقاب والثواب هو عمل الإنسان حيث يؤزن بميزان العدل. ومفردة «هاوية» في اللغة مِن مادة «هوى» بمعنى السقوط إلى الأسفل، والسقوط عن عُلوّ. وهاوية هي جهنم؛ لأنّ الكافرين والمفسدين يسقطون إلى مكان عميق وخطير، وكذلك يحلُّ في هذا المكان المرعب من كانت أعماله وموازينه خفيفة. وكلمة «هاوية» في القرآن جائت مرة واحدة: «وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَة وَما أَدْراكَ ماهِيَهْ نارٌ حامِيَةٌ» (القارعة: ٨ . ١١) و«هاوية» نار عميقة (قعيرة) وتبلغ شدة حرارتها حد ينزع فيه بَشَرَة بدن كل فرد يقع فيها. كما علّة ووجه تسمية جهنم بـ«هاوية» مأخوذه من مادة «هوى» بمعنى السقوط والمراد هو السقوط في أسفل سافلين من جهنم (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٣٤٩/٢٠)

إنّ سورة القارعة من البدء إلى الختام تتحدث عن واقعة القيامة، وثواب الأعمال الحسنة، وعقاب الذنوب وتبين أهوال وأحوال ذلك اليوم ومصير الإنسان وأنّه (فمن ثقلت موازينه ورجحت أعماله الحسنة على أعماله السيئة) فهو في عيشة راضية (ودائمة) ومن خفت موازينه (ورُجّحت أعماله السيئة على أعماله الحسنة (فأمّه هائية؛ اي مأواه الأبدى «هاوية» ويذكر معنى الهاوية في الآية الأخيرة وأنها فوق التصور والفهم للإنسان «وما أدراك ما هية نارٌ حامية» بناءًا على هذا، فإنّ الله سبحانه يذكر في هذه السورة النقاط التربوية بحيث لو أن إنساناً عمل بالدساتير المذكورة في القرآن يكون ثوابه ومقامه الأبدي هو الجنة، وإلّا فأن مقامه يكون في النار. فإذن لا بدَّ للإنسان أن يجعل الإيمان بالله وطاعته واتّباع آياته في رأس قائمة أعماله حتى يصل إلى الكمال والسعادة والتربية المرضيّة. نظرًا لما ذكر: فإنّ رعاية دساتير من قبيل الإيمان بالله والعمل بالآيات والأوامر الإلهية والمداومة والمحافظة على الصلاة، والاعتناء بالمعوزين، والاعتقاد بالمعاد لهي خير أنموذج تربوي وقرآني للوصول إلى كمال الإنسان وسعادته. وعلى عكس ذلك فإنّ نتيجة الإنكار والإعراض عنها هو الورود إلى دركات جهنم، وأنواع العذاب.

سمات أهل جهنم في نهج‌البلاغة، وآثارها التربوية

إنّ نهج‌البلاغة كتاب ثمين وقيّم ومنير، فقد حوى هذ السِفر قطرة من البحر العَلَوي، فهو كمنشئ كلماته ومعارفه قد علاه غبار المظلومية والاستنكار، ولم يُعرف كما يجبُ ويرام، ولم تُطبَّق خزينة معارفه الحيوية. ولو كان كذلك لكانت كلماته المنيرة ضمادا للأوجاع والآلام العصرية التي لا حدَّ لها ولا حصر.

لم يُشِر الإمام علي (ع) في بعض خطبه أو كلماته مباشرة إلى أوصاف أهل جهنم وسماتهم في النار، وإنما بشكل غير مباشر ذكرَ سمات الذين لا يمكن تصوّر مآلٍ لهم سوى جهنم. ولترسيم أهل جهنم يلزم مسبقًا أن ندرس حياتهم في هذه الدنيا؛ لأنّ مصيرنا في الآخرة ينشأ من نياتنا وأقوالنا وأعمالنا في هذه الدنيا. ففي الواقع، إنّه القسم المهم والأصيل هو دراسة الأعمال الدنيوية لأهل جهنم، وهي تستتبع مراحل أخرى كشدة الاحتضار، وعذاب القبر، والنار، والخلود في جهنم.

إننا عبرَ التفكر والتأمل في سمات أهل جهنم في النار يمكننا التعرف على كيفية حياة أهل الجنة، حيث أننا بأعمالنا في هذه الدنيا نعيش إما في الجنة وإما في جهنم. يبيّن الإمام في بعض الخُطب أنّ الدنيا لا تلتئم معهم، وأن الاطمئنان والسعادة التي يتطلبها كلُّ الناس نوعا ما، تُمنع منهم. وبناءًا على هذا، فإنّ سمات أهل جهنم،

ودراسة أعمال الماضين، والغور في دراسة الأفعال، ومراقبة السلوك لهي خير أنموذج تربوي، وهي سبيل الوصول إلى الحياة الطيبة لأناس هذا الزمن الراهن، ودستور عملي رصين للآتين. فقد قال علي (ع) في الحكمة ٤٣: «طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.» والحياة الطيبة للمجموعة من الناس تكون للذين لم ينفكوا عن ذكر المعاد.

جهنم مقام عبدة الدنيا، والذين نسوا ذكرَ الموت

إنّ أول صفة ذكرها أمير المؤمنين (ع) من صفات أهل جهنم هي عبادتهم للدنيا، والسعي وراء الحصول على مال الدنيا واللذائذ المتصرمة لها. فالإمام يحذّر بأنكم لم تخلقوا للدنيا، والدنيا ليست بدارِ قرار، فقصّروا علائقكم فيها. (شوشتري، ١٣٧٦: ٣٥/١٢) والمراد من هؤلاء مَن ينحط لأجل الدنيا، ويصطفيها، ويشتغل بها «بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ» (الخطبة ١٧)؛ و«تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا اينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ» (الخطبة ٨٨) فقد سعوا بأوهامهم الباطلة للحصول على الدنيا ولذائذها ومشتهياتها: «مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ كادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ» (الخطبه ٨٣) إذن هم اختاروا الدنيا، وتركوا الآخرة: «آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا وَتَرَكُوا صَافِيًا وشَرِبُوا آجِنًا ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ» (الخطبة ١٤٤) فلأهل جهنم آمال طويلة وغير نائلة: «وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْمَآلِ» (الخطبة ١١٣) فقد هلكوا بهذه الآمال: «وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ» (الخطبة ١٤٧) وقد نسوا ذكر الموت: «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجال وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ» (الخطبة ١١٣) واتخذوا في تعبد الدنيا، وترك الأخرة: «قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ.» (المصدر نفسه).

جهنم مقام أتباع الشيطان

يبيّن الأمام بأنّ الصفة البارزة من سمات أهل جهنم أنهم يتبعون الشيطان: «لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ دَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا» (الخطبة ١٣٣) وكذلك جعلوا الشيطان معيارا ومثالا لأنفسهم: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكًا» (الخطبة ٧) فأشركهم الشيطان في كل أعمالهم وأقوالهم، فزين لهم أقبح أخطائهم: «وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ... فَعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ » (المصدر نفسه)

جهنم نتيجة مخالفة الله ورسوله

يقول الإمام في خُطَبه الغراءة أنهم يخالفون عبادة الله وطاعة رسوله بالتكبر، ويضعون أقدامهم في طريق الضلال: «حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَخَبَطَ سَادِرًا» (الخطبة ٨٣) كما يولّون عن دعوة الله: «وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا» (الخطبة ١٣٣) ولا يعيرون أهمية لمقام القرآن، ويعتنون بخطه وكتابته فحسب فلا يبقى عندهم من القرآن سوى الاسم: «كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خطّه» (خطبة ١٤٧) وبناءا على هذا، سيظعنون عن هذه الدنيا بلا زاد ليوم المعاد: «ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ» (الخطبة ١١١) فتؤدي بهم هذه المخالفة وهذا اللتواء عن أوامر الحق إلى الهلاك والبوار: «زَرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ وَحَصَدُوا الثُّبُورَ» (الخطبة ٢).

جهنم نتيجة الأخلاق الرذيلة (الحقد، سوء الظن، الغرور، الكذب، والتكبّر)

من السمات الأخرى لأهل جهنم هي كسب الرذائل الأخلاقية كصفة الحقد: «قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الآمالِ وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ» (الخطبة ١٣٣). ومن رذائلهم الأخلاقية سوءُ الظن وعدم الصفح: «وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ وَسُوءُ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ» (الخطبة ١١٣) وكذلك أولئك يحسبون الصدقَ كذبًا، ويكافئون الحسنات بالسيئات: «وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ

السَّيِّئَةِ» (الخطبة ١٤٧) كما أنهم يعذبون الصالحين: «وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ» (نفس المصدر). ومن مواصفات أهل جهنم الأخرى الغرور، والتكبر، ومخالفة الله والرسول، وكونهم في الضلال البعيد: «وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِم» (الخطبة ١١١) أما في الخطبة التي قال فيها ابن أبي الحديد حول فصاحتها وبلاغتها: «من يدرس هذه الخطبة سيعتقد بكلام معاوية حول علي (ع)، حيث قال: «والله ما سن الفصاحة لقريش غيره» (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ١١/١٥٢) يبيّن الإمام أهمية الاعتبار من محيا ومآل الأموات وعدم التكبر والتبجّح. (مكارم شيرازي، ١٣٨٧: ٨/٣٠٨).

جهنم نتيجة الانغماس في الذنوب وترك الصلاة

إنّ قضاء العمر في اقتراف الذنب والخطأ والتقصير في طاعة الله وعدم شكر النعم من عوامل سقوط أهل جهنم فيها. كذلك عدم أداءهم للواجبات وعدم شكرهم لنعم الله من علل صيرورتهم جهنميين: «ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا لَمْ يُفِدْ عِوَضًا وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا» (الخطبة ٨٣)؛ «وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى...» (الخطبة ١٦)؛ و«أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ» (الخطبة ١٤٤) والصلاة من أهم الواجبات، فطبقًا لآيات سورة المدثر من العلل الأصيلة لسقوط أهل جهنم في النار هي ترك الصلاة. وقد أشار الإمام (ع) إلى هذا العامل المهم حيث قال: «أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» (الخطبة ١٩٩)، كما من ذنوبهم الأخرى خوفهم من النهي عن المنكر: «وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ» (الخطبة ١٣٣).

جهنم مقام المبتدعين والمنافقين ومن يثيرون التفرقة والاختلاف في الدين

من السمات الأخرى لأهل جهنم هي الاعوجاج والاختلاف في الدين، وعدم اتّباع الرسول الأمين ووصيّه: «فَيَا عَجَبًا وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ» (الخطبة ٨٨)؛ و:«فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ» (الخطبة ١٤٧) فهؤلاء اختلف بعضهم مع بعض آخر في موطن الوحدة: «وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ» (المصدر نفسه)، كذلك قد عرضوا عن الدين والأحكام الإلهية، ويعملون بعقائدهم الباطلة: «ولَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ... كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ» (الخطبة ٨٨) وهؤلاء خالفوا الحق، ولا يعيرونه طرفًا: «هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَخَابَ مَنِ افْتَرَى مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهَلَةِ النَّاسِ...» (الخطبة ١٦) إذن بدليل عدم الدئتمار تركهم الله: «إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ» (الخطبة ١٧). ومن سماتهم تورطهم بين الناس بالبدع، والضلال، والجهل: «مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَن افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ... جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ» (المصدر نفسه) وأهل جهنم في الدنيا متورطون في الفتنة والضلال والجهالة: «عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ » (المصدر نفسه) وتوهموا أنهم متدينون فاتخذوا الدين لعبة وهزوا: «وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ» (الخطبة ١١٣).

هؤلاء مطلعون على سبيل الهداية غيرَ أنهم اختاروا مسير جهنم: «وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ» (الخطبة ١٣٣) وبما أنهم لا يتعقلون خرجوا عن مسير الهداية: «أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى» (الخطبة ١٤٤). فبناءا على هذا من العوامل المهمة والأساسية التي توجب الخلود في جهنم لبعض الناس هي ترك الصلاة، والإقبال على الدنيا. ومن النقاط الأساسية التربوية في كلام أمير المؤمنين هي ضرورة عبادة الله، والمحافظة والمداومة على الصلاة؛ لأنّ ترك الصلاة وترك عبادة الله يفصلان الإنسان تدريجيا عن حامي الوحيد وحافظه (وهو الله)، وتقرّبه إلى الشيطان إلى حدٍ يعتنقه الشيطان وحينئذٍ تكون كلُّ أعماله وأقواله طبقًا

لتخطيط الشيطان. فالإقبال على الدنيا هو اختيار الدنيا المذمومة التي من أجل الوصول إليها سوف يتبع الإنسانُ أهواءَه ومغرياته، ويقتفي عيش الحياة وحلوها ومشتهياتها، ويتبع أوهامه وأفكاره الباطلة، ويأكل الحرام، ويخالف الحقّ، ولا يطيع الله ولا إمامه، ولا يأبى عن ارتكاب هذه الأعما. وفي نهاية المطاف، يضعن عن هذه الدنيا دون أي زاد للمعاد.

الخاتمة والاستنتاجات

من منظار القرآن ونهج‌البلاغة، إنّ الناس الذين خالفوا حكمَ العقل وإرشادات القرآن والأنبياء، وأحاط الفساد والتبار بكلِّ حياتهم، فإنّ هؤلاء في القيامة بعد المحاسبة والمداقّة في فحص كتاب أعمالهم سيجازون في مقام فيه أصناف العذاب بما هو فوق التصور. إنّ المعرفة والإحاطة الكاملة على أسرار ذلك العالم غير ممكن لأبناء هذه الدنيا، غيرَ أنّ هذا الأمر لا يمنع من التعرف الإجمالي على ذلك؛ ذلك لأن التعرف على مقامات جهنم وسمات أهلها يمكن أن يساعدنا كثيرا على اختيار الطريق السويّ للحياة، ليكون خير مُرشدٍ للابتعاد عن هذه الذنوب، وتربية أناس صالحين مؤهلين، ونيل الكمال والسعادة البدية. يعبّر القرآن عن النار بتعابير شتّى: جهنم، ولظى، وحطمة، وسقر، وهاوية، وسعير. وطبقا للآيات وكلام أمير المؤمنين (ع) تكون علة اختلاف أسماء مقامات النار هو تناسبها مع أصناف الذنوب التي ارتكبها الإنسان في الدنيا، وهذا العذاب يتناسق بصورة جازمة مع أعمالهم الدنيوية؛ لأنهم كانوا يعذبون ويضايقون المظلومين بأنواع العذاب والاضطهاد، ويتخذون آيات الله لعبا وهزؤًا، ويتكبرون، ويختالون على الآخرين، فهم في نار الآخرة يحصدون ثمرَ ما قد زرعوه في الدنيا. إذن، هذه التعذيبات بالنسبة لهم ثابتة ـ وعلى حدِّ تعبير القرآن الكريم، ونهج‌البلاغة: «يريدون أن يخرجوا منها وما هم بخارجين منها»

يذكر القرآن أسماء مقامات النار، وسمات أهلها. فـ«الجحيم» مقام مرعب جدًا في النار، وفيها نار مرعبة أيضا، بحيث يتقلب الحالّون بها لشدة وطئتها. والمقام الآخر للنار «لظى» الذي لشدة حرارته ينفصل اللحم عن العظم، وهذ اللهب المتضرم يدعو الذين أعرضوا عن أوامر الله وولّوا عن طاعته إليه، وكذلك يدعو الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون أن ينفقوها في سبيل الله فهي توصلهم إلى عقوبة أعمالهم. و«سقر» مقام يأوى فيه المتكبرون والمتجبرون وهي بيداءٌ مملوءة من الحرارة تحرق كلَّ شيء. و«الحطمة» مقام الذين يؤذون الناس في الصدور والغيبة ويجمعون المال من الحرام ويظنون أنه يُخلدهم في الدنيا فإنّ هؤلاء سرعان ما سيصلون يُنبذون في الحطمة (التي تحطّم من فيها)، وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة (فهي تنبع من القلوب والأفئدة)؛ و«الهاوية»: نار حامية عميقة تبلغ حرارتها حدًّا تُنزع وتفصل بشرة الحالّين بها عن أبدانهم، وهذا عذاب مَن كذّب بآيات الله سبحانه. جاء في باب تعريف السعير: أنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا.

إنّ الإمام علي (ع) يعرّف ترك عبادة الله والالتصاق بالدنيا من العوامل المهمة في تورّط أهل جهنم بنارها، ومن النقاط المهمة التربوية في كلام الإمام هي عبادة الله والمداومة على الصلاة؛ لأنّ ترك عبادة الله والصلاة تفصل الإنسان تدريجيا عن حاميه الوحيد وحافظه (وهو الله)، وتقربه إلى الشيطان وإلى حدٍّ يعتنقه الشيطان وعندئذٍ تكون كلُّ أعمال الإنسان وأوقواله طبقا لموازين ومخططات الشيطان. والالتصاق بالدنيا أو اعتناقها هو اختيار الدنيا المذمومة التي من أجل الوصول إليها وحلاوتها سوف يتبع الإنسان أواءه ومغرياته، ويقتني عيش الحياة، ومشتهياتها، وتصير أوهامه الباطلة أسوة له يقتدي بها، ويأكل المال الحرام، ويخالف الحقّ، ولا يطيع الله ولا إمامه، ولا يأبى ارتكابَ هذه الأعمال المشينة، وفي نهاية الأمر يرحل عن هذه الدنيا دون زاد.

بناءا على ذلك، بوسعنا أن نستشف خير أنموذج للتربية عبرَ التدبر في آيات القرآن الكريم، والتأمل في نهج‌البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي (ع)، لأجل الوصول إلى قمم الكمال، واليقين، والعيش الرغد في الدار الآخرة، وذلك عبر عبادة الله، وإقامة الصلاة،

والابتعاد عن التعلق بالدنيا. إذن، بواسطة التفكر في سمات أهل جهنم يمكن لنا معرفة كيفية حياة أهل الجنة، وأننا نعيش في هذه الدنيا بنفس أعمالنا التي نحاسب عليها هنا؛ إما في الجنة وإما في النار. وقد بيّن الإمام في بعض خطبه أن الدنيا لا تنسجم مع أصحاب النار، وتحول دون وصولهم إلى الاطمئنان والسعادة اللتين يتطلبُهما كل البشر ـ بشكلٍ أو بآخر.

فبيان سمات أهل جهنم، وتصحّف أعمال الماضين، ودراسة أعمال البشر وسلوكياتهم خير أنموذج تربوي للحياة في هذه الدنيا للحاضرين ودستور عملي للآتين. وفي كل هذه الأمور المدروسة يذكر الله سبحانه ابتداءًا الأوامر التربوية للإنسان، لوصوله نحو الكمال والسعادة، ولنيل رحمة الله التي بحسب الآيات تكون إحدى أهداف الخلق وغاياته، ومخالفة هذه الأوامر الإلهية ذُكرت من كبائر الذنوب التي تستتبع عذابا أليما. تعللُ هذه الأحكام بأنها حكم ومواعظ وإرشادات من قِبل الربّ الكريم، والمراد منها أن يكون الإنسان متذكرا وبصيرا، ليحظى برحمة الله، وينال السعادة في الدنيا والآخرة.

المصادر

القرآن الكريم

نهج‌البلاغه، إعداد الشريف الرضي (د. تا). تصحيح صبحي صالح. قم: موسسة دار الهجرة.

ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن هبة الله (١٤٠٤هـ.ق). «شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد». قم: كتابخانه آية الله مرعشي نجفي.

ابن فارس زكريا، أبو الحسين أحمد (١٤٠٤هـ.ق). «معجم مقاييس اللغة». تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الإعلام الإسلامي.

جوادي آملي، عبد الله، (١٣٨١هـ.ش). «معاد در قرآن». قم: نشر أسراء. مطبعة أُسوه.

الحويزي، عبد علي بن جمعة (١٣٨٣هـ.ق). «تفسير نور الثقلين». ج ٣. المطبعة العلمية.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد بن فضل (١٣٨٥هـ.ش). «المفردات في غريب القرآن». ترجمة و تحقيق: سيّد غلامرضا خسروي حسيني. الطبعة الثانية. طهران: انتشارات مرتضوي.

الشوشتري، محمد تقي (١٣٧٦هـ.ش). «بهج الصباغة في شرح نهج‌البلاغة». ج ١٢. طهران: نشر امير كبير.

شير زهي، شهاب (١٤٠٠هـ.ش). «رابطة معاد ومعرفت نفس از ديدگاه علامه حسن‌زاده آملي و نقد بر مباني مكتب تفكيك». حميد اسكندري. مجلة علمي پژوهشي در علوم انساني ومطالعات اجتماعي. ج ٣.، العدد ٢٣.

طباطبائي، محمد حسين (١٣٧٤هـ.ش). «ترجمة تفسير الميزان». محمد باقر موسوي همداني. قم: جامعة مدرسين حوزة علمية قم. دفتر انتشارات اسلامي.

معمار كوچه باغ، هادي (١٤٠٠هـ.ش). «بررسي تطبيقي حقيقت مجازات اخروي از ديدگاه صدر الدين شيرازي وجعفر سبحاني» وآخرون. دو فصلنامة شيعه پژوهي. الدورة ٧. العدد ٢٠. صفحه ٧ ـ ٢٠.

مكارم شيرازي، ناصر (١٣٨١هـ.ش). «پيام قرآن». ج ٥ و٦. طهران: دار الكتب الإسلامية.

_____ (١٣٨٧هـ.ش). «پيام امام». ج ٨. قم: انتشارات امام علي بن أبي طالب (ع).

نجفي سوادرودباري، رضوانه (١٤٠٠هـ.ش). «تحليل ويژگي‌ها و آثار اخروي اعمال اصحاب المشئمه از منظر قرآن». نهمين كنفرانس بين لمللي پژوهش در روانشناسي. مشاوره و علوم تربيتي.

بررسی اوصاف و جایگاه دوزخیان در قرآن و نهج‌البلاغه و آثار تربیتی بیان آن

زهره کدخدایی[۱]، دکتر محمد رضا حاجی اسماعیلی[*۲]، دکتر مهدی مطیع[۳]

تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۰۸/۲۵ **تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۱۲/۲۴**

۱. دانشجوی دکتری علوم قرآن وحدیث، دانشگاه آزاد اسلامی اصفهان، اصفهان، ایران
۲. استاد علوم قرآن وحدیث، دانشگاه اصفهان، اصفهان، ایران
۳. دانشیار علوم قرآن وحدیث، دانشگاه اصفهان، اصفهان، ایران

چکیده

باورمندی به وجود بهشت ودوزخ از اعتقادات همه ادیان است، یک پنجم آیات قران به زندگی در جهان دیگر اشاره دارد و انسان پس از مرگ با توجه به اعمال دنیوی خود در یکی از این دو مکان به حیات ابدی خود ادامه خواهد داد. در این مقاله به بررسی مفهوم مکان‌های دوزخ و اوصاف دوزخیان در قرآن و نهج‌البلاغه و تأثیر بیان آن بر زندگی دنیوی و تربیت انسان‌ها می‌پردازیم. این پژوهش در صدد پاسخگویی به این سؤال است که چه اوصافی باعث شد جهنمیان در دوزخ گرفتار شوند؟ و چگونه می‌توان از سرنوشت آنها برای رسیدن به سعادت و کمال عبرت گرفت؟ روش تحقیق این نوشتار توصیفی ـ تحلیلی، و ابزار گردآوری اطلاعات، کتابخانه‌ای است. نتیجه این مطالعه نشان می‌دهد قرآن کریم و نهج‌البلاغه تصویری از مکان‌های دوزخ و اوصاف زندگی دوزخیان ارائه می‌دهد و کافران و گناهکاران را از این عذاب‌ها بر حذر می‌دارد. برای توصیف جهنمیان در ابتدا باید زندگیشان در این دنیا مورد مطالعه قرار گیرد. زیرا سرنوشت انسان در آخرت با نیات، گفتار واعمال او در این دنیا رقم می‌خورد. با تفکر در جایگاه و اوصاف جهنمیان در قرآن و نهج‌البلاغه بهترین الگوی تربیتی برای رسیدن به هدف والای خلقت که طبق آیات رحمت الهی است، یاد مرگ، عبادت خدا، اقامه نماز و دوری از دنیاپرستی است.

کلیدواژه‌ها: طبقات دوزخ، اوصاف دوزخیان، گناهان، تربیت انسان، سعادت ابدی، جهان آخرت.

COPYRIGHTS
© 2021 by the authors. Lisensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (http:/creativecommons.org/licenses/by/4.0)